



# مجلة تسلیم

Journal Homepage: <https://tasleem.alameedcenter.iq>  
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)



## خِطَابُ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ   بَيْنَ التَّلَقِّيِّ وَالتَّوِيلِ: مُقَارَبَةٌ فِي ضَوْءِ سِيمِيائِيَّاتِ النَّصِّ

نعيمة حسين مُحَمَّد حَسَوَكِي ١

١ جامعة حلب / كَلْبَةُ الآدَابِ وَالعِلْمِ الْإِنْسَانِيَّةِ / قِسم اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، سوريَا؛

fa8288425@gmail.com

دكتوراه في اللغة العربية / مدرس

تاريخ النشر  
٢٠٢٦/٣/٣١

تاريخ القبول  
٢٠٢٥/٨/١٧

تاريخ التسلم  
٢٠٢٥/٦/١

DOI:  
10.55568/t.v25i37.85-108

المجلد (٢٥) العدد (٣٧)  
شوال ١٤٤٧ هـ . آذار ٢٠٢٦ م



### مُلخَصُ البَحْثِ:

يقدم هذا البحث قراءة سيميائية-تأويلية للخطاب الفاطمي، ممثلاً في خطبة السيدة فاطمة الزهراء (ؑ)، بوصفه نصاً رمزياً يتجاوز سياقه التاريخي المباشر إلى فضاءات التأويل المفتوحة عبر العصور، ويستكشف البحث البنية السيميائية للخطاب، مركزاً على توظيف العلامات والرموز، مثل الميراث وفدك والقيامة، كوسائط دلالية تكشف عن قضايا السلطة والحق والعدالة، كما يعالج البحث آليات التلقي في السياق التاريخي، مبيناً كيفية إعادة إنتاج معاني الخطاب لاحقاً في سياق المظلومية الزهرائية، ويبرز البحث كذلك التأويلات المعاصرة للخطبة، خاصة في قضايا المرأة والعدالة الاجتماعية، إذ تُقرأ الخطبة اليوم كنموذج للخطاب النسوي المقاوم، وقد اعتمد منهج سيميائي-تأويلي، إذ يجمع البحث بين تحليل النص وتأويله، ليكشف عن أثر الخطبة في تشكيل وعي الأفراد والجماعات، بلحاظها نصاً احتجاجياً مفتوحاً يعبر الأزمنة.

الكلمات المفتاحية: السيدة فاطمة (ؑ)، الخطاب الفاطمي، السيميائيات، التلقي،

التأويل، الرموز، الميراث، العدالة، فدك، المرأة في الإسلام.

# Seida. Fatima Discourse: Reception and Interpretation (Text Semiotics Approach )

Naeema Hussein Muhammad Hassouki <sup>1</sup>

<sup>1</sup> University of Aleppo / Faculty of Arts and Humanities / Department of Arabic  
Language, Syria;  
fa8288425@gmail.com  
PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:  
1/6/2025

Accepted:  
17/8/2025

Published:  
31/3/2026

DOI:

10.55568/t.v25i37.85-108

Volume (25)

Issue (37)

Vol.25, Issue No. 37

Shawwal, 1447 AH / March, 2026 AD



## Abstract:

This research presents a semiotic- interpretive analysis of Seida. Fatimah al-Zahraa's (p.b.u.h.) discourse, as exemplified by her sermon. It treats the sermon as a symbolic text that transcends its immediate historical context, expanding into open interpretive horizons across centuries. The study explores the semiotic structure of the discourse, emphasizing the deployment of signs and symbols : inheritance, Fadak, and Wisdom Day, as semantic mediators that unveil issues of authority, legitimacy, and justice. Furthermore, the paper examines the mechanisms of reception in their historical framework, illustrating how the meanings of the sermon were subsequently reproduced in the context of (the state of being oppressed). It also highlights contemporary interpretations of the sermon, particularly regarding the issues and social justice of the women, where the text is read today as a paradigm of resistance feminist discourse. The semiotic-interpretive approach was adopted, as the research combines text analysis and interpretation to reveal the impact of the sermon on shaping the consciousness of individuals and groups, considering it as an open protest text that transcends time.

**Keywords:** Seida. Fatima , Fatimah's Discourse, Semiotics, Reception, Interpretation, Symbols, Inheritance, Justice, Fadak, Women in Islam.

## ١ . المقدمة:

يُعدُّ خطاب السيِّدة فاطمة الزهراء   من النصوص المركزيَّة في التراث الإسلاميِّ، لكونه يحمل بُعداً دينياً خاصاً، ولأنه يتجاوز الإطار الظاهريِّ للنصِّ ليُصبح بنية رمزيَّة متعدِّدة الأبعاد، تتشابك فيها الأصوات الدينيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة، لتنتج خطاباً مفتوحاً على التَّوِيلِ والتأمُّلِ عبر العصور، من هذا المنطلق، تأتي هذه الدراسة لتقدِّم قراءة سيميائيَّة تأويليَّة للخطاب الفاطميِّ، تُحاول من خلالها الكشف عن البنى العميقة التي تشكِّل هذا النصِّ، واستقصاء آليات إنتاج المعنى فيه، وكيفيَّة تلقيه وتأويله في سياقاته التاريخيَّة والمعاصرة، وتنبع أهميَّة هذا البحث من الحاجة إلى إعادة قراءة الخطاب الفاطميِّ خارج الأطر التقليديَّة، وتسليط الضوء على الأبعاد الرمزيَّة التي يحملها، خاصَّة في ظلِّ التوظيف المعاصر للخطاب في قضايا العدالة الاجتماعيَّة وحقوق المرأة والمقاومة الرمزيَّة للسلطة، كما يسعى البحث إلى تحليل البنية السيميائيَّة للخطاب، والكشف عن دور العلامات والدوال والرموز في بناء المعنى، مع التركيز على آليات التلقِّي في زمن الخطبة، وفي النقد الحديث، ويتَّهج البحث مقاربة سيميائيَّة-تأويليَّة، تجمع بين تحليل العلامات والرموز، واستحضار أفق التلقِّي والتَّوِيلِ، للكشف عن المعاني المتعدِّدة والدلالات المتشابكة في خطاب السيِّدة فاطمة الزهراء  ، بوصفه نصّاً احتجاجياً يتجاوز لحظته التاريخيَّة إلى كونه وثيقة حيَّة لمقاومة الظلم وإحقاق الحقِّ في الوعي الإسلاميِّ المعاصر.

## ٢ . الإطار النظريُّ والمنهجيُّ:

١:٢ : سيميائيَّات النصِّ: المفاهيم والأدوات:

يُعدُّ علم السيميائيَّات أداةً منهجيَّةً بالغة الأهميَّة في تحليل النصوص، لما يتيح من مقاربة متعدِّدة المستويات لفهم البنى العميقة للخطاب، وإبراز شبكة العلامات التي يتشكِّل منها المعنى، ففي ضوء التحوُّلات الفكريَّة والمعرفيَّة الحديثة، لم يعد

النَّصُّ مَجْرَدُ بِنَاءٍ لَغَوِيٍّ مَغْلُوقٍ، بَلْ أَصْبَحَ فِضَاءً تَفَاعُلِيًّا تَدَاخَلَ فِيهِ الرَّمُوزُ وَالدُّوَالُ وَالمَدَلُّوَلَاتُ، وَيَشَارِكُ المَتَلَقِّيَّ فِي إِنتَاجِ مَعَانِيهِ مِنْ خِلَالِ آيَّاتِ التَّلَقِّيِّ وَالتَّأْوِيلِ، وَتُعْرَفُ السِّمِّيَّاتُ عِنْدَ الغَرِيبِينَ عَمُومًا بِأَنَّهَا العِلْمُ الَّذِي يَدْرُسُ العِلَامَاتِ، بَيْنَمَا يَعْرفُهَا النُّقَادُ العَرَبُ بِأَنَّهَا "العِلْمُ الَّذِي يَدْرُسُ الأَنْظِمَةَ الرَّمْزِيَّةَ فِي كَلِّ الإِشَارَاتِ الدَّالَّةِ وَكَيْفِيَّةِ هَذِهِ الدَّلَالَةِ"<sup>١</sup>، وَهُوَ تَعْرِيفٌ يُبْرِزُ الطَّابِعَ البِنَائِيَّ وَالتَّوَاصُلِيَّ فِي دِرَاسَةِ الخُطَابِ، وَيَرْبِطُ بَيْنَ العِلَامَةِ وَمَجَالِ دَلَالَتِهَا ضَمَّنَ نِظَامِ ثِقَافِيٍّ وَلَغَوِيٍّ خَاصًّا.

وَتَذْهَبُ بَعْضُ المَدَارِسِ السِّمِّيَّاتِيَّةِ إِلَى تَوْسِيعِ نِطَاقِ هَذَا العِلْمِ لِيَشْمَلَ كَلَّ مَظَاهِرِ الثَّقَافَةِ، إِذْ تُعْرَفُ السِّمِّيَّاتُ بِأَنَّهَا "دِرَاسَةٌ لِكَلِّ مَظَاهِرِ الثَّقَافَةِ كَمَا لَوْ كَانَتْ أَنْظِمَةٌ لِلْعِلَامَةِ، اعْتِمَادًا عَلَى افْتِرَاضِ مَظَاهِرِ الثَّقَافَةِ كَأَنْظِمَةِ عِلَامَاتٍ فِي الوَاقِعِ"<sup>٢</sup>، وَنَلْحِظُ رُؤْيَا مَوْسَعَةً لِمَفْهُومِ السِّمِّيَّاتِيَّةِ، إِذْ يَتَجَاوِزُ عِلْمُ العِلَامَاتِ حُدُودَ النُّصُوصِ اللُّغَوِيَّةِ لِيَتَعَامَلَ مَعَ الثَّقَافَةِ بِأَكْمَلِهَا بِوصْفِهَا نِظَامًا مِنَ العِلَامَاتِ، بِمَعْنَى آخَرَ، لَا يُنْظَرُ إِلَى العِلَامَاتِ بِلِحَازِهَا مَحْصُورَةً فِي الكَلِمَاتِ وَالجُمَلِ فَحَسَبِ، بَلْ بِلِحَازِهَا تَشْمَلَ كَلَّ مَا يَنْتِجُهُ الإِنْسَانُ مِنْ رَمُوزٍ وَإِشَارَاتٍ وَسُلُوكِيَّاتٍ وَمَمَارِسَاتٍ، سِوَاءِ أَكَانَتْ فِي اللُّغَةِ أَمْ اللِّبَاسِ أَمْ الطَّقُوسِ أَمْ العَادَاتِ، وَهَذَا الفِهْمُ تَكشِفُ السِّمِّيَّاتُ عَنِ البُنَى العَمِيقَةِ لِلثَّقَافَةِ.

وَقَدْ عَبَّرَ رُولَانُ بَارْتُ عَنِ البَعْدِ الحَسِّيِّ فِي عِلَاقَتِهِ بِاللُّغَةِ، وَرَأَى أَنَّهَا لَيْسَتْ نِظَامَ عِلَامَاتٍ مَحَايِدٍ، قَائِلًا: "اللُّغَةُ... هِيَ مَا يَوْقُظُ: أَنَا مَهْتَمٌ بِاللُّغَةِ، لِأَنَّهَا تُؤَلِّمُنِي أَوْ تَغْوِينِي"<sup>٣</sup>، فَاللُّغَةُ كِيَانٌ حَيٌّ يَتَفَاعَلُ مَعَ المَتَلَقِّيِّ وَيؤَثِّرُ فِيهِ بِطَرَائِقَ مُتَبَايِنَةٍ، قَدْ تَوَلَّاهُ، أَوْ تَشِيرُ شِغْفَهُ، أَوْ تَدْفَعُهُ لِلتَّأَمُّلِ وَالتَّسَاؤُلِ، وَهِيَ طَاقَةٌ حَيَّةٌ تَوْقُظُ الوَعِيَّ وَتُفَجِّرُ الأَسْئَلَةَ وَالمَعَانِي، وَهَذِهِ النُّظْرَةُ تَجْعَلُ مِنْ تَجْرِبَةِ اللُّغَةِ تَجْرِبَةً شَعُورِيَّةً وَجَدَائِيَّةً.

١ الأحمري، فيصل. معجم السيميائيات، ط ١ الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، (٢٠١٠)، ١٨.

٢ علوش، سعيد. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط ١ بيروت: دار الكتاب اللبناني، (١٩٨٥)، ١١٨.

٣ بارت، رولان. لذة النص، ترجمة طرابلسي، فواز. ط ٣ بيروت: دار الطليعة، (١٩٩٠)، ٤٢.

وعبر رولان بارت عن جوهر الرؤية السيميائية الحديثة للنص، بقوله: إنَّ "النَّصَّ" هو نسيج من العلامات المتداخلة التي تنتج المعنى من خلال التفاعل مع القارئ"، فالنصُّ نسيج معقّد من العلامات التي لا تكتمل معانيها إلا في لحظة التفاعل مع القارئ، تتقاطع فيه الرموز والدوال والمدلولات، ويتولّد المعنى من خلال حوار بين النصِّ والقارئ؛ فكلُّ قارئٍ يحمل خلفيته الثقافية وتجربته الشخصية، وعندما يتفاعل مع النصِّ، يُنتج تأويلاً خاصاً قد يختلف عن تأويل قارئٍ آخر، والقارئ طرفٌ فعّالٌ في إنتاج المعنى، لأنَّ النصَّ لا يقول كلَّ شيءٍ بشكل مباشر، إنّما يُلمّح، ويُحيل، ويفتح مساحات للتفكير، ومن هنا تتولّد تعدّدية المعاني.

## ٢:٢: مفاهيم أساسية في السيميائية:

كانت مرحلة التبشير بولادة السيميائية على يد العالم السويسريّ فرديناند دوسوسير في أحد فصول كتابه (محاضرات في علم اللغة العام)، ومن المفاهيم الجوهرية التي ركّز عليها هو وسواه (العلامة) وهي عند سوسير ثنائيةٌ مكوّنة من طرفين، تربط بينهما علاقة اعتبارية قائمة بين الصورة السمعية والتصور الذهني، وهما: الدال، والمدلول، و"الدال عند سوسير صورة سمعية مشتقة من كيان صوتي، أو هي تمثيل طباعيّ في حال وجود الكتابة"، أمّا المدلول فهو "الصورة الذهنية التي تستدعيها سلسلة من الأصوات في ذهن المستمع"، وهذا التصوّر يُبرز الطبيعة الثنائية للعلامة، حيث لا يمكن أن يوجد الدال وحده دون مدلول، ولا المدلول دون دال؛ فهما مرتبطان بشكلٍ وثيق مثل وجهي الورقة.

أمّا أنواع العلامة من حيث الدلالة على الموضوع، فقد قسّمها بيرس على ثلاثة أنواع أساسية، وهي، الأيقون (icon)، والشاهد أو الدليل (index)، والرمز

٤ بارت، ٤٢.

٥ بنكراد، سعيد. السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، ط ٣ اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، (٢٠١٢)، ٧٦.

٦ فاخوري، عادل. تيارات في السيمياء، ط ١ بيروت-لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، (١٩٩٠)، ٣٠.

(symbol)، والأيقون icon" هي علامة تدلُّ على موضوعها من حيث إنَّها ترسمه أو تحاكيه، وبالتالي يُشترط بها أن تشاركه بعض الخصائص، أي أن تمثله من جهة التشابه<sup>٧</sup>، فالأيقون وسيط بصريُّ أو ذهنيُّ يساعد على إيصال الفكرة من خلال التشابه مع الواقع، وهذا ما يجعل الأيقون أداة فعَّالة في توصيل المعاني بسرعة وسلاسة، ويمنحها أهميَّة خاصَّة في تحليل الخطابات ذات الطابع الرمزيِّ أو الدينيِّ أو الثقافيِّ.

أمَّا الشاهد أو الدليل (index) "فيختصُّ بعلاقة المجاورة بينه وبين الموضوع، وبسبب هذه العلاقة المباشرة مع الموضوع كان من طبيعة هذا الأخير أن يكون فرداً أو حدثاً مخصوصين متعينين في الزمان والمكان"<sup>٨</sup>، أي إنَّ الدليل هو علامة تشير إلى وجود شيء معيَّن بعلاقته السببيَّة أو الواقعيَّة بالموضوع، لذا هو وسيلة قويَّة للربط بين النصِّ والواقع.

والرمز (symbol)، "علامة تدلُّ على موضعها لمجرَّد الوضع دون أن تكون هناك علاقة شبه مجاورة"<sup>٩</sup>، فالعلاقة بين الرمز وموضوعه ليست علاقة تشابه كما في الأيقون، ولا علاقة سببيَّة أو مجاورة كما في الدليل، بل هي علاقة اعتباريَّة أو اتفريقيَّة، أي إنَّ الرمز يعتمد على التواضع الاجتماعيِّ أو الاتِّفاق الثقافيِّ، فالرموز لا تكتسب معناها إلَّا ضمن ثقافة أو مجتمع معيَّن، واللغة في مجملها نظام من الرموز. وإنَّ فهم الأسس النظرية للسميائيَّات - كما صاغها سوسير وبيرس - يزودنا بأدوات دقيقة لتحليل النصوص بوصفها أنساقاً من العلامات المتداخلة، فبين الثنائيَّة البنيويَّة التي تقيم العلاقة بين الدال والمدلول، والتصنيف الثلاثي لبيرس الذي يميِّز بين الأيقون والدليل والرمز، تتجلَّى أهميَّة السيميائيَّات في الكشف عن

٧ فاخوري، ٥٧.

٨ فاخوري، ٥٩.

٩ فاخوري، ٥٩.

آليات إنتاج المعنى، وتوسيع أفق التأويل من خلال ربط العلامة بسياقاتها الإدراكية والثقافية والواقعية، وهذه الأدوات لا تكفي بتفسير النصوص الأدبية واللغوية فحسب، بل تمتد لتشمل الخطابات الدينية والتاريخية، مثل خطاب السيدة فاطمة الزهراء   الذي يزخر بالرموز والدلائل والإشارات التي يمكن قراءتها وتأويلها في ضوء هذه المفاهيم السيميائية.

### ٣:٢: مفهوم التلقي عند ياوس وإيزر:

يُعدُّ مفهوم التلقي أحد المفاهيم المحورية في الدراسات الحديثة للنصوص والخطابات، إذ يُسلِّط الضوء على دور القارئ في إنتاج المعنى، وينقل مركز التحليل من النصِّ بوصفه بنية مغلقة إلى التجربة القرائية بوصفها عملية تفاعلية تنشأ من التفاعل بين النصِّ والقارئ، وقد كان لهذا التحول أثر بالغ في إعادة النظر في النصوص الكبرى، إذ لم تعد تُقرأ فقط من منظور الكاتب أو البنية الداخلية، بل أصبحت تُقرأ بوصفها قابلة للتأويل في أزمنة وأمكنة وسياقات مختلفة، ومن أبرز من أسهموا في بلورة نظرية التلقي وتطويرها، هانز روبرت ياوس وفولفغانغ إيزر، وقد ركَّز ياوس على مفهوم أفق التوقع لدى القارئ، ومفهوم أفق التوقع، مُرتبط بالقارئ أي ما يتوقَّعه من النص استناداً إلى جملة من المعارف والقواعد التي "توجَّه" فهم جمهور المتقبلين وتمكَّنه من تلقي العمل بشكل تقييمي... وهو أداة أو معيار يستخدمه المتلقي لتسجيل رؤيته القرائية التي تنسب إليه في المقام الأول بوصفه مستقبلاً لهذا العمل أو ذاك"١٠، فالتلقي فعل تفاعلي نشط، حيث يقوم القارئ بمقارنة ما يقرأه بما كان يتوقَّعه، فإذا وجد النصُّ يُلبي توقعاته، فقد يراه تأكيداً لما يعرف، أمَّا إذا خالف النصُّ هذه التوقعات أو فجرها، فقد يؤدي ذلك إلى صدمة أو دهشة أو إعادة التفكير.

١٠ حسن محمد، عبد الناصر. نظرية التوصليل وقراءة النصِّ الأدبي القاهرة: المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، (١٩٩٩)، ١١٣.

أَمَّا فُولْفَانِغْ إِيْزِرْ فَاهْتَمُّ بِفِكْرَةِ الْمَعْنَى الْمَفْتُوحِ وَإِسْهَامِ الْقَارِئِ فِي مَلْءِ الْفِرَاقَاتِ دَاخِلِ النَّصِّ، فَالْقِرَاءَةُ تَمَثَّلُ بِنِيَةِ الْفِعْلِ، وَهِيَ الَّتِي تَرْفَعُ انْغِلَاقَ النَّصِّ وَتَمَلَأُ فِرَاقَهُ، وَتَصَوِّغُهُ فِي شَكْلِ كَلَامٍ، ثُمَّ تَعِيدُهُ إِلَى قَلْبِ التَّوَاصُلِ الْحَيِّ<sup>١١</sup>، وَ"التَّوَايِلُ هُوَ الْفِعْلُ الَّذِي يَجْعَلُ النَّصَّ يَتَكَلَّمُ مِنْ جَدِيدٍ فِي سِيَاقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ"<sup>١٢</sup>، فَالْقِرَاءَةُ لَيْسَتْ مَجْرَدَ عَمَلِيَّةٍ اسْتِقْبَالٍ سَلْبِيٍّ، إِنَّمَا فِعْلٌ مُنْتَجٍ لِلْمَعْنَى، وَالنَّصُّ يُعْطِي إِشَارَاتٍ وَدَلَالَاتٍ، لَكِنْ الْقَارِئُ هُوَ الَّذِي يُعِيدُ صِيَاقَهَا فِي ذَهْنِهِ لِيُحَوِّلَهَا إِلَى كَلَامٍ حَيٍّ، أَيَّ إِلَى تَجْرِبَةٍ تَوَاصُلِيَّةٍ لَهَا مَعْنَى فِي وَاقِعِهِ الْخَاصِّ وَسِيَاقِهِ الثَّقَافِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ، وَالْقَارِئُ مِشَارِكٌ نَشِطٌ يُنْتِجُ الْمَعْنَى مِنْ خِلَالِ تَفَاعُلِهِ مَعَ النَّصِّ.

وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ: إِنَّ أَفْكَارَ يَاسُوسٍ وَإِيْزِرْ تُعَدُّ حِجْرَ الزَّوَايَةِ فِي نَظَرِيَّةِ التَّلَقِّيِّ، إِذْ أَسْهَمَا فِي تَأْكِيدِ أَنَّ الْمَعْنَى نَتِيجَةُ تَفَاعُلِ بَيْنِ النَّصِّ وَالْقَارِئِ وَالسِّيَاقِ، وَهَذِهِ الرُّؤْيَةُ تَجْعَلُ الْقِرَاءَةَ عَمَلِيَّةً تَأْوِيلِيَّةً مُسْتَمْرَّةً وَتَمْتَدَّةً.

### ٣. البنية السيميائية لخطاب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام:

#### ١:٣: التحليل النصي للخطبة الفدكية:

"فَجَعَلَ اللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشَّرِّ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبْرِ، وَالزَّكَاةَ تَزْكِيةً لِلنَّفْسِ وَنَمَاءً فِي الرِّزْقِ، وَالصِّيَامَ تَثْبِيهاً لِلْإِخْلَاصِ، وَالْحَجَّ تَشْيِيداً لِلدِّينِ، وَالْعَدْلَ تَنْسِيقاً لِلْقُلُوبِ، وَطَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمِلَّةِ، وَإِمَامَتَنَا أَمَاناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهَادَ عِزّاً لِلْإِسْلَامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِجَابِ الْأَجْرِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلِحَةً لِلْعَامَّةِ، وَبِرَّ الْوَالِدَيْنِ وَقَايةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ مَنَاءً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصَاصَ حِصْناً لِلدَّمَاءِ، وَالْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمُكَايِلِ وَالْمُؤَاوِزِينَ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنِ شُرْبِ الْخُمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرَّجْسِ، وَاجْتِنَابَ الْقَذْفِ حِجَاباً عَنِ

١١ سمير، حميد. النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري دمشق: اتحاد الكتاب العرب، (٢٠٠٥)، ٢١.

١٢ ريكور، بول. نظرية التأويل، ترجمة الغانمي، سعيد. ط ١ بيروت: المركز الثقافي العربي، (٢٠٠٥)، ٨٨.

اللَّعْنَةَ، وَتَرَكَ السَّرْقَةَ إِجَابًا لِلْعَفَّةِ. وَحَرَّمَ اللَّهُ الشُّرْكَ إِخْلَاصًا لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ،   اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ   وَأَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ   إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ       .  
 ٣:١:١٠ البنية اللغوية والبلاغية:

يتأسس هذا المقطع من الخطبة الفدكية على نمط تعليمي واضح، حيث تعرض السيدة فاطمة   منظومة التشريعات الإسلامية في شكل قائمة مترتبة، كل عنصر فيها يتبع بنية لغوية تكاد تكون ثابتة.

والنص يقوم على تكرار جمل عدّة، الجملة الأولى مبدوءة بالفعل (جعل)، والجمل التالية حذفت العامل منها اعتمادًا على السياق، وثمة تركيب نحوي ثابت تقريبًا، (الإيمان تطهيرًا، الصلاة تنزيهاً، الزكاة تزكية... إلخ)، وهذا التوازي التركيبي يُنتج إيقاعًا لغويًا منتظمًا، يشبه الترتيل، ويُعزز القدرة الإقناعية للخطبة، كما يعكس وحدة المعنى الكلي، فجميع الأحكام مترابطة وتشكل نسيجًا واحدًا، والنص يُقدّم معاني مختزلة ومركزة، فرغم أنّها عبارات قصيرة إلا أنّها محمّلة بدلالات روحية واجتماعية، وهذا الأسلوب يجعل الخطاب مفتوحًا للتأويل على مستويات متعدّدة، ويظهر التكرار بوصفه أداة بلاغية، فتكرار المصادر بشكل مقصود، يجعل التكرار وسيلة سيميائية لإبراز القيمة المشتركة بين الأحكام، وهي أنّ الشريعة مشروع متكامل لبناء الإنسان والمجتمع، كما يعمل التكرار على تعزيز التوكيد وإبراز أهمية كل حكم على حدة ضمن المنظومة الكلية، ونجد تقابلات ضمنية بين جملة من الأضداد (الإيمان/ الشرك، الصلاة/ الكبر، الزكاة/ الفقر)، وهذا البناء يولد شحنة بلاغية قوية، حيث يُصبح كل حكم وسيلة لنفي نقيضه، ومن شأن هذا التقابل أن يُعزز أثر النصّ في المتلقّي.

ولا شكَّ أنَّ توالي المصادر المنصوبة، واستخدام ألفاظ ذات جرس قويّ (تطهيرًا، تزكيةً، تشييدًا، تنسيقًا...) يُنتج إيقاعًا صوتيًا خطبيًا، وبهذا تشكّل البنية اللُّغويّة والبلاغيّة لهذا المقطع نسيجًا محكمًا من التراكيب المتوازية، والألفاظ الدالّة.

٢:١:٣: التكرار والتوكيد بوصفهما أدوات سيميائية: يتبدّى التكرار التركيبيّ في استعمال فعل (جعل) الظاهر في الجملة الأولى، والمحذوف في الجمل التالية لدلالة السياق عليه، وهذا التكرار يمثّل علامة سيميائية تشير إلى الترابط البنيويّ بين التشريعات، كأن السيّدة الزهراء عليها السلام ترسم خريطة متكاملة للشريعة، كلّ حكم فيها يُكمل الآخر، ويتحقّق المعنى الكامل من خلال جمع هذه العلامات في شبكة دلاليّة واحدة، والتكرار الدلاليّ يعكس أفقًا توجيهيًا، إذ إنّ كلّ حكم يُحيل إلى هدف أخلاقيّ أو اجتماعيّ، ويوجّه المتلقّي نحو غايات الشريعة.

والنصّ يمثّل بنية رمزيّة تُعيد إنتاج المعنى في كلّ قراءة، فالإيمان يطهّر من الشرك، وفي هذا دلالة روحية عميقة تتجاوز حدود الاعتقاد النظريّ لتصبح علامة على صفاء القلب، والصلاة تنزّه عن الكبر، فثمّة ربط للعبادة بسلوك أخلاقيّ، والزكاة نماء في الرزق، وفي هذا دلالة اقتصادية واجتماعية في آن، تجعل العطاء وسيلة للبركة، والحجّ تشييد للدين، وهو رمز الوحدة الجامعة، والعدل ينسّق للقلوب، فالعدالة ليست إجراءً قانونيًا فقط، إنّها أداة لتحقيق التآلف الاجتماعيّ، وفي قولها: (إمامتنا أمّا من الفرقة) توظيف سياسيّ وسيميائيّ عميق؛ فالإمامة علامة وحدة واستقرار للأمة، تحمل دلالات الشرعيّة والقيادة، وتشير ضمّنًا إلى قضية الحقّ المغتصب (فدك).

واللغة في المقطع علامة بصريّة وذهنيّة ووجدانيّة، تُشير في ذهن السامع صورًا حسية وروحية مترابطة، فكلّ حكم يُحيل إلى صورة ذهنيّة (تطهير، تنزيه، تزكية... إلخ)، وكلّ صورة تُعيد تشكيل أفق التوقّعات لدى المتلقّي، فتُحفّزه على التأمل في

المقاصد العميقة للشريعة، لذا يمكن القول: إن هذا المقطع من الخطبة يُعدُّ نموذجًا للخطاب الحيِّ التفاعليِّ، إذ تتضافر البنية اللُّغويَّة والبلاغيَّة مع الرموز والدوال لتشكيل شبكة دلاليَّة معقَّدة، تجعل النصَّ مفتوحًا على التَّوِيل المتجدِّد.

٢:٣: الرموز والدلالات في الخطاب:

"أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَغْلَبُ عَلَى إِرْثِيهِ يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ! أَيْ كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ، وَلَا أَرِثَ أَبِي؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا، أَفَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَبَدَّئْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وَقَالَ فِيمَا اخْتَصَّ مِنْ حَبْرٍ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِذْ قَالَ رَبِّ ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، وَقَالَ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وَقَالَ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَى﴾ وَقَالَ: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾. وَزَعَمْتُمْ أَلَّا حِطْوَةَ لِي، وَلَا إِرْثَ مِنْ أَبِي وَلَا رَحِمَ بَيْنَنَا! أَفَخَصَّكُمْ اللَّهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْهَا أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لَا يَتَوَارَثَانِ، أَوْ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمَ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي؟ فَدُونَكُهَا مَخْطُومَةٌ مَرْحُومَةٌ، تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكْمُ اللَّهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ، وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَحْسُرُ الْمَبْطُلُونَ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ، ﴿وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾<sup>١٤</sup>.

١:٢:٣: تحليل الرموز الدينيَّة والاجتماعيَّة في الخطبة:

يُعدُّ هذا المقطع من الخطبة الفدكيَّة نموذجًا ثريًّا للخطاب الرمزيِّ متعدِّد الطبقات، إذ تُوظَّفُ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ   رموزًا دينيَّة قرآنيَّة واجتماعيَّة ذات حمولة تأويليَّة عالية، وتعيد توظيفها في سياق احتجاجيِّ يعكس مظلوميَّتها ويبرز

الحَقَّ المَغْتَصَب، الذي يَتَمَثَّل في (فدك) التي تَمَثَّل رمزاً للحَقِّ المَغْتَصَب<sup>١٥</sup>.  
ومن الرموز رمز (الميراث)، وهو ههنا لا يُحِيل فقط إلى حَقِّ مادِّيِّ في أرض أو مال  
(فدك)، بل يرمز إلى الشرعيَّة السياسيَّة والدينيَّة التي نزعَت من أهل البيت، وهو  
علامة رمزيَّة للحَقِّ المشروع المَغْتَصَب، ولا استمرار الرسالة المَحْمَديَّة عبر ذرِّيَّته.  
والسيِّدة الزهراء عليها السلام تستدعي آيات قرآنيَّة متعدِّدة بوصفها رموزاً معياريَّة،  
لُحْمَل خطابها قوَّة دينيَّة مرجعيَّة لا تُرَدُّ، مثل قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾،  
وقوله تعالى: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ وقوله تعالى:  
﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، فهذه الآيات تتحوَّل إلى رموز  
شرعيَّة تُحِيل إلى مبدأ الميراث العام في الشريعة، وتوظَّف كحجج دامغة تُدين موقف  
الخصم وتنقض منطقَه.

وتستحضر مجموعة من الصفات الشخصيَّات الدينيَّة الرمزيَّة، مثل سليمان  
وداود، ويحيى وزكريا، ويعقوب وآله، لتبرز أن ما يُنكر عليها عليها السلام قد بُتَ لغيرها  
من الأنبياء، فتُقارن بين شرعيَّة الميراث في النبؤات السابقة وشرعيَّة ميراثها من أبيها  
النبويِّ عليه السلام، وأبو قحافة (أبو بكر) يصبح رمزاً للسلطة التي اغتصبت الحَقَّ، وفي ختام  
المقطع، تنتقل السيِّدة الزهراء عليها السلام من المستوى الاجتماعيِّ والسياسيِّ إلى المستوى  
الأخرويِّ، حين تقول: (فنعم الحكم الله، والزعيم مُحَمَّد، والموعود القيامة...) هنا،  
تصبح القيامة رمزاً للانتصار المؤجَّل، والله عز وجل هو الحكم العدل، والرسول عليه السلام هو  
الشاهد على المظلمة، وهذا تصعيدٌ دلاليٌّ يجعل الخطاب أيقونة للمظلوميَّة، تتجاوز  
اللحظة التاريخيَّة لتُصبح نموذجاً رمزياً متجدِّداً للمطالبة بالحقوق والعدالة.

وتجدر الإشارة إلى الاستفهام الإنكاريِّ في قولها: (أَأَغْلَبُ عَلَى إِرْثِي؟)، وهو  
أسلوب إنكاريٌّ بامتياز، يُسعمل لإبراز الدهشة والاستغراب والاعتراض القاطع،

فلاستفهام هنا أداة احتجاجية، يُوظَّف للإنكار على الوضع القائم، وكشف اللامعقول في اغتصاب الحق، ويُحيل إلى المفارقة الظالمة بين ما ينبغي أن يكون (حقُّ الإرث الطبيعي) وما هو كائن (اغتصاب الإرث)، لئثير الدهشة والرفض الأخلاقي لدى المتلقِّي.

٣:٢:٢: تأثير هذه الرموز في بناء المعنى وإيصال الرسالة:

تعمل الرموز المستحضرة في هذا المقطع على توسيع أفق التلقِّي وإشراك المتلقِّي في إعادة تأويل الخطاب وفق سياقات متعدّدة، أبرزها تحويل الصراع السياسي إلى قضية شرعية، فالاحتجاج بالقرآن يجعل القضية أكبر من نزاع شخصي، ويُعيدها إلى ميدان الحقِّ الإلهي والقانوني، ويكسب الخطاب شرعية دينية عليا.

يضاف إلى ذلك إثارة الوعي الأخلاقي والوجداني، وذلك من خلال تصوير الظلم الذي وقع عليها   في ضوء الظلم على الأنبياء السابقين، وبهذا تُحرِّك في المتلقِّي مشاعر التعاطف والنصرة، والخطاب لا يكتفي بإبراز الظلم الدنيوي، بل يُلوِّح بالعاقبة الإلهية، من خلال إيراد قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾، وهذا التلويح يُعطي للخطاب قوّة زجرية وتحذيرية تتجاوز حدود الزمان والمكان، فالرموز والدلالات في هذا المقطع تُعيد تعريف الصراع، وتُحوّل الخطبة إلى خطاب احتجاجي رمزي يُرسِّخ مظلومية الزهراء كرمز للمظلومية الكونية، ويُقدّم نموذجاً لمقاومة الظلم والاحتكام إلى الشرع والقرآن والقيامة، وعند تلقِّي هذا المقطع من الخطبة، لا يمكن للقارئ أو السامع أن يظلّ محايداً؛ فالسيّدة فاطمة الزهراء   تبني خطابها اعتماداً على أفق توقّعات دينية ومعرفية لدى المتلقِّي، إذ تفترض أنّ المخاطب مؤمنٌ بالقرآن كمصدر تشريع، وأنّه يدرك أهميّة النسب النبوي ومكانة الأنبياء، وهذا الأفق يجعل المتلقِّي يتوقّع عدالة المطالب التي تطرحها، ويندهش حين يُدرك حجم المفارقة

بين النصوص القرآنيّة الداعمة للحقّ، وبين الواقع الظالم الذي تواجهه الزهراء عليها السلام، وهكذا يتحوّل أفق التوقُّع إلى أداة كشف للمتلقّي، إذ يُجبره على إعادة النظر في قناعاته، ومراجعة مواقفه من السلطة القائمة ومن قضية الميراث التي أصبحت رمزاً المظلوميّة أكبر، والخطاب نصّ مفتوح، يترك أسئلة في البنية المعرفيّة للمتلقّي تدعوه للتأمّل، منها: لماذا تمّ رفض ميراث الزهراء بينما أقر في حالة سليمان وداود؟ هل هناك معيار شرعيّ أو انتقائيّة سياسيّة؟ هذه الأسئلة تستفزّ المتلقّي ليملاها عبر استحضار معارفه وتجربته، وتجعل الخطاب حيّاً ومتجدّداً، لا يُغلق معناه في زمن واحد أو تأويل واحد، والنصّ فيه هي فعل احتجاجيّ تواصليّ، يطلب من المتلقّي التجاوب إمّا عبر تأييد المظلوميّة والانتصار لها، أو عبر الخذلان والصمت، وهو موقف تندّد به الخطبة ضمناً، حين تُظهر المفارقة بين النصّ القرآنيّ والواقع الفعليّ. وهذا المقطع خطاب متعدّد الطبقات، يُعيد تشكيل أفق توقُّع المتلقّي عبر استدعاء الرموز القرآنيّة، ويفتح مساحات للتفكير والتأمّل، تُحفّز المتلقّي على التفاعل الفعّال مع النصّ، ويوظّف الرموز والدلالات كوسائط لإيصال رسائل مركّبة، ودينيّة، وسياسيّة، واجتماعيّة، وأخرويّة، وبهذا، يُصبح الخطاب الزهرائيّ نصّاً مفتوحاً يُعاد إنتاج معناه مع كلّ قراءة، ويُشكّل أداة احتجاج رمزيّ دائماً ضدّ الظلم والانحراف عن مبادئ الحقّ والعدل.

٣:٣: البعد الوظيفيّ للألفاظ في خطاب السيّدة الزهراء عليها السلام:

"أَيُّهَا النَّاسُ! اعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةٌ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَقُولُ عَوْدًا وَبَدَاءً، وَلَا أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلَطًا، وَلَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطَطًا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فَإِنْ تَعَزَّوهُ وَتَعَرَّفُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسَائِكُمْ، وَأَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ، وَلِنِعْمَ الْمُعْزِيُّ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. فَبَلِّغِ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِالنَّذَارَةِ، مَائِلًا عَنِ مَدْرَجَةِ الْمَشْرِكِينَ،

ضارِباً تَبَجُّهُمُ، آخِذاً بِأَكْظَامِهِمْ، دَاعِياً إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ"١٣. تبرز وظيفة الألفاظ في هذا الخطاب بوصفها أدوات فاعلة في بناء الهوية، وتعزيز المصداقية، والتأكيد على علاقة القرابة المقدسة، إضافة إلى توجيه الرسالة الدينية والأخلاقية بسلطة رمزية عالية، حيث تبدأ السيدة فاطمة بتحية مباشرة ومخاطبة شاملة: (أَيُّهَا النَّاسُ!)، وهو لفظ يستدعي انتباه الجمهور ويؤسس لإطار الخطاب العام، وقولها: (اعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةٌ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ  ) يحمل وظيفة تثبيت الهوية، إذ تُعطي الكلمات (فاطمة ومحمد) دلالة تاريخية ودينية ذات ثقل قوي، وهذا الإعلان يؤسس السلطة الخطابية على أساس القرابة النبوية، ويمنح الخطاب شرعية وأصالة. أمَّا قولها: "أَقُولُ عَوْدًا وَبَدْءًا، وَلَا أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلَطًا، وَلَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطَطًا" يمثل ضمانة شفوية تُعبر عن صدق القول وحسن النية، وتبني من خلاله علاقة ثقة مع المتلقين، والألفاظ هنا تحمل وظيفة تأكيدية وتثبيتية، إذ تزيل الشكوك المحتملة في كلامها.

وهي تقتبس من القرآن الكريم لتعزيز مضمون الخطاب، وربطه بالمرجعية الإلهية، والآية القرآنية التي وظفتها تبرز الرسل كأشخاص قريين من الناس في همومهم وحقوقهم، كما أنَّ عبارات مثل (تَجِدُوهُ أَيْ دُونَ نِسَائِكُمْ، وَأَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ) تمثل علامات لفظية لتحديد مكانة النبي ضمن سياق القرابة والقبيلة، وتؤكد خصوصية العلاقة وصلتها الوثيقة بأهل البيت  ، وهي بذلك تُثبت الانتماء والروابط العائلية التي تنطوي على مشاعر الولاء والاحترام. وقولها: (بَلَّغَ الرَّسَالََةَ صَادِعاً بِالنَّذَارَةِ، مَائِلاً عَن مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ) يحمل وظيفة تحذيرية وتحريضية، إذ تُبرز النبي   كرَسُولٍ نَذِيرٍ وَوَاضِحٍ فِي مَوْقِفِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، لتعزيز عنصر الجدِّية والصرامة في الخطاب، وقولها: (دَاعِياً إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ

وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ) يَضْفِي طَابِعًا أَخْلَاقِيًّا وَتَعْلِيمِيًّا، إِذِ يَتَضَمَّنُ دَعْوَةَ حَكِيمَةً وَمَوْعِظَةً حَسَنَةً، تُوَدِّي وَظِيفَةً تَعْلِيمِيَّةً وَتَوْجِيهِيَّةً، فَالْأَلْفَاظُ هُنَا تَحْمَلُ حَمُولَةَ دَلَالِيَّةً مُتَعَدِّدَةً الْأَبْعَادَ، دِينِيَّةً، وَاجْتِمَاعِيَّةً، وَأَخْلَاقِيَّةً، وَنَفْسِيَّةً، وَكُلُّ لَفْظٍ يُمَثِّلُ عِلْمًا تَحْمَلُ مَعْنَى يَرْتَبِطُ بِسِيَاقِهِ الْقُرْآنِيِّ، وَالثَّقَافِيِّ، وَالتَّارِيخِيِّ، وَتُسْتَعْمَلُ لِاسْتِنْهَاضِ وَعِيِّ الْمُتَلَقِّينَ، وَإِحْدَاثِ تَأْثِيرٍ وَجِدَانِيٍّ وَفِكْرِيٍّ، وَإِنَّ الَّذِي "يَنْعَمُ النَّظْرَ مُتَدَبِّرًا فِي الْبُعْدِ الْوِظْفِيِّ لِأَلْفَاظِ خُطْبَةِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) وَمَفْرَدَاتِهَا، يَلْمَسُ بِوَضُوحِ التَّجَاوُبِ السِّيَاقِيِّ، وَالتَّنَاغُمِ الْمَقَامِيِّ، وَالتَّفَاعُلِ الْمَعْنَوِيِّ، الْمُوَظَّفِ بِدَقَّةٍ فِي تَقْوِيَةِ التَّنَاسُبِ الدَّلَالِيِّ وَتَرَابُطِهِ السِّيَاقِيِّ، إِذْ مِنْ غَيْرِ الْمُمْكِنِ لِأَيِّ مُتَلَقٍّ أَنْ يَسْتَبْدَلَ مَفْرَدَةً بِأُخْرَى دُونَ أَنْ يَلْحَظَ انْكَسَارَ الْمَعْنَى الْغَائِيَّ الَّذِي قَصَدَتْهُ السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مِنْ وَرَاءِ تَوْظِيفِهَا لِتِلْكَ الْأَلْفَاظِ"<sup>١٧</sup>.

وَيُظْهِرُ تَحْلِيلُ الْبُعْدِ الْوِظْفِيِّ لِأَلْفَاظِ خُطْبَاتِ السَّيِّدَةِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) بَرَاعَةً فَائِضَةً فِي تَوْظِيفِ اللَّغَةِ كَأَدَاةٍ لِبِنَاءِ الْهُوِيَّةِ، وَتَأْسِيسِ الشَّرْعِيَّةِ، وَتَعْزِيزِ الثَّقَةِ، وَإِيصَالِ الرِّسَالَةِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ بِسُلْطَةِ رَمْزِيَّةٍ وَدَلَالِيَّةٍ عَمِيقَةٍ، فَالْأَلْفَاظُ عِلْمَاتٌ سِيمِيَاثِيَّةٌ مَحْمَلَةٌ بِمَعَانٍ دِينِيَّةٍ وَتَارِيخِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ، تَتَفَاعَلُ فِيهَا لِتَشْكَلَ نَسِيجًا خُطْبِيًّا مَتَمَّاسًا يَحَقِّقُ التَّنَاغُمَ السِّيَاقِيَّ، فَمِنْ خِلَالِ مَخَاطَبَتِهَا الْمُبَاشِرَةِ لِلنَّاسِ، وَتَأْكِيدِهَا عَلَى هُوِيَّتِهَا وَقِرَابَتِهَا النَّبَوِيَّةِ، وَاقْتِبَاسِهَا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَتَوْظِيفِهَا لِأَلْفَاظٍ تَحْمَلُ وَظَائِفَ تَحْذِيرِيَّةً وَتَعْلِيمِيَّةً وَتَحْرِيزِيَّةً، اسْتَطَاعَتِ السَّيِّدَةُ فَاطِمَةُ أَنْ تَبْنِي خُطْبًا عَابِرًا لِلزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، مُوجَّهًا الْمُتَلَقِّينَ نَحْوَ التَّدَبُّرِ وَالْوَعْيِ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُ مِنْ خُطْبَاتِهَا نَمُودَجًا سِيمِيَاثِيًّا مُتَكَامِلًا، يَعْكَسُ دَقَّةَ اخْتِيَارِ الْأَلْفَاظِ وَتَنَاسُقِهَا الدَّلَالِيِّ، وَيَجْعَلُ كُلَّ كَلِمَةٍ فِيهِ تَحْمَلُ وَظِيفَةً مُحَدَّدَةً تُسَهِّمُ فِي تَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ الْغَائِيَّةِ لِلخُطْبَابِ، وَتَوَكَّدُ عَلَى مَكَانَتِهَا كَصَوْتِ دِينِيٍّ وَأَخْلَاقِيٍّ وَاجْتِمَاعِيٍّ.

١٧ شَاكِرُ الْجَدِيدِ، حَيْدَرُ مُحَمَّدٍ. مُكُونَاتُ خُطْبَاتِ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فِي خُطْبَةِ الْفِدْكَ: رُؤْيَا مَلَاحِمِهَا الْحِجَابِيَّةِ وَعِلَاقَاتِهَا الْأَسْلُوبِيَّةِ كَرْبَلَاءِ الْمَقْدِسَةِ: كَلِيَّةُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ، جَامِعَةُ كَرْبَلَاءِ (د.ت)، ٧.

#### ٤ . التلقِّي التاريخيُّ والتأويل المعاصر للخطاب:

##### ١٠٤ : التلقِّي التاريخيُّ:

تكشف الخطبة الفدكيَّة، عند قراءتها في ضوء التلقِّي التاريخيِّ، عن دورها كمحطَّة مفصليَّة في تشكيل الوعي الجمعيِّ الإسلاميِّ، فقد كانت الخطبة بمثابة صرخة احتجاج رمزيَّة، تجاوزت حدود لحظتها التاريخيَّة، لتُصبح مع مرور الزمن وثيقة محوريَّة في بناء الوعي بالمظلوميَّة الزهرايَّة، ومصدراً متجدداً لإنتاج المعاني والقيم التي تتصل بقضايا الحقِّ والعدالة والشرعيَّة، وفي زمن الخطبة، كان الوعي العام في المدينة يعيش حالة من الارتباك والجمود بعد وفاة النبيِّ ﷺ، في ظلِّ ظروف سياسيَّة مضطربة، إذ كانت السلطة الجديدة تمارس نفوذها في فرض شرعيَّة الخلافة، بينما كانت أصوات المعارضة، وعلى رأسها الزهراء  ، تواجه الإقصاء والتهميش، ولأمِّ سلمة   موقف واضح تعبَّر من خلاله عن تأييدها لموقف الزهراء  ، إذ قالت حين سمعت ما جرى لفاطمة  : "المثل فاطمة بنت رسول الله ﷺ يقال هذا القول، هي والله الحوراء بين الإنس، والنفس للنفس، رُيِّت في حجور الأتقياء، وتناولتها أيدي الملائكة، ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خير نساء، ورُيِّت خير مربى، أترعمون أن رسول الله ﷺ حرَّم عليها ميراثه ولم يعلمها وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ أفأنذرهما وخالفت متطلِّبة وهي خيرة النسوان، وأم سادة الشبَّان، وعديلة ابنة عمران، تمَّت بأبيها رسالات ربِّه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحرِّ والقر، ويوسِّدها يمينه، ويلحفها بشماله، وريداً ورسول الله ﷺ بمراى منكم، وعلى الله تردُّون، واهألكم فسوف تعلمون"<sup>١٨</sup>، ويظهر دفاع أمِّ سلمة عن السيِّدة فاطمة   كاستجابة لما تعرَّضت له من ظلم، ويبرز النصَّ أهميَّة القرابة والنسب في المجتمع العربي، إذ تستعمل أمِّ سلمة هذا العنصر لتعزيز شرعيَّة

فاطمة من خلال التأكيد على قرابتها من النبي ﷺ، كما أن الإشارات إلى الملائكة والطهارة تعكس البعد الديني والروحي الذي يحيط بشخصية فاطمة (عليها السلام)، ويضفي عليها هالة من القداسة تتجاوز السياق البشري، وقد استطاع النص أن يؤكد هويّة فاطمة بوصفها رمزاً دينياً وأخلاقياً.

وَسُجِّلَ لِمُؤرِّخِينَ مَوْقِفَهُمْ، وَعَبَرُوا عَنْ أَهْمِيَّةِ (فدك)، ومنهم الطبري الذي يقول: "إن فدك كانت ممّا أفاءه الله على رسوله، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، فكان ينفق منها على أهله، ويجهز منها جيش المسلمين"<sup>١٩</sup>، فهو يبرز الأهمية الاقتصادية والسياسية لفدك في سياق التاريخ الإسلامي، إذ تُعدُّ (فدك) ملكية خاصة للنبي مُحَمَّد ﷺ بأمر إلهي، وتعكس هذه الحقيقة موقف الخطاب السائد في ذلك الوقت الذي يعزز الصلة الوثيقة بين فدك وأهل البيت، ويؤكد على حقهم الشرعي في هذه الملكية، ويوضح قول الطبري أن النزاع حول فدك لم يكن مجرد خلاف على أرض أو مال، بقدر ما كان مرتبطاً بالهوية السياسية والدينية لأهل البيت ودورهم في المجتمع الإسلامي.

وفي المدى البعيد تحوّلت الخطبة إلى أيقونة احتجاجية في الذاكرة الإسلامية، إذ استدعت في سياقات لاحقة لتأكيد مظلومية الزهراء وأهل البيت (عليهم السلام)، وللحديث عن اغتصاب الحقوق وتضييع الموارث الشرعية، وأصبحت الخطبة بمرور الزمن أداة في تكوين الوعي الشيعي خاصة، والوعي النقدي في الفكر الإسلامي عموماً، حول قضايا السلطة الشرعية والحق السياسي والديني، فالخطبة لم تكن حدثاً لغوياً عابراً، بقدر ما كانت وما تزال نصّاً مفتوحاً للتأويلات والتوظيفات الفكرية والاجتماعية، يُعاد إنتاج معناها مع كل سياق جديد.

١٩ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق إبراهيم، محمد أبو الفضل. ط ٢ القاهرة: دار المعارف، (١٩٦٧)، ٤٢١.

وهي تُستدعى في الخطاب المعاصر للدفاع عن قضايا العدالة الاجتماعيَّة، وحقوق المرأة، وإدانة الظلم، ورفض الاستبداد السياسيِّ - وهو ما سنوضِّحه في الفقرة التالية - وبهذا تتجاوز زمانها الأوَّل لتصبح رمزاً متجدِّداً لمقاومة الظلم عبر العصور.

#### ٤: ٢: التَّوِيلَاتُ المعاصرة للخطاب:

شهدت الخطبة الفدكيَّة في العقود الأخيرة تأويلات معاصرة متعدِّدة أعادت قراءتها بوصفها نصًّا يتجاوز حدود سياقه التاريخيِّ المباشر، ليتحوَّل إلى خطاب ذي طابع رمزيِّ مفتوح على قضايا العصر، خاصَّة في مجالات الدفاع عن حقوق المرأة، والعدالة الاجتماعيَّة، ومقاومة الاستبداد السياسيِّ، لقد خرجت الخطبة، في تأويلات معاصرة، من كونها مجرد احتجاج شخصيِّ على قضِيَّة الميراث إلى وثيقة ناطقة بحقوق الإنسان، وصوت نسويِّ مبكِّر في فضاء الهيمنة الذكوريَّة، وفي هذا الإطار، يُبرز أدونيس الذي يذهب في إحدى مقارباته النقديَّة إلى أنَّ "الخطبة الفاطميَّة تمثِّل نموذجاً للخطاب النسويِّ المقاوم في التاريخ الإسلاميِّ"<sup>٢٠</sup>، وهذا التوصيف يُحمِّل الخطبة دلالة ثوريَّة تتجاوز بعدها الفقهيِّ، إذ يرى فيها صوت امرأة تواجه السلطة الذكوريَّة لا من موقع الضحيَّة، إنَّما من موقع القدرة على تفكيك الخطاب السلطويِّ نفسه عبر الاحتجاج بالقرآن، والتذكير بالشرعيَّة النبويَّة، والمطالبة بالحقوق بوصفها استحقاقاً مشروعاً لا منحةً مشروطةً بالولاء السياسيِّ.

ويمكن القول: إنَّ شخصيَّة الزهراء   في الخطبة تُجسِّد رمزاً للمرأة القادرة على التعبير عن مظلوميَّتها، وتفنيد مواقف السلطة، والمطالبة بحقوقها بصوت عالٍ في فضاء عام هيمن عليه الرجال. فقولها: (أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَغْلَبُ عَلَى إِرْثِي؟ يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ! أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثُ أَبِي؟) لا يُقرأ فقط بوصفه احتجاجاً على

مصادرة (فدك)، ويمكن أن يُحْمَل في سياق التأويل الحديث رمزيةً أوسع تتعلق بحقوق المرأة في الميراث، ودورها في الشأن العام، ومقاومة الإقصاء. كما تُفسَّر الخطبة اليوم في سياق العدالة الاجتماعيّة، خاصّة في مقاطعها التي تتحدّث عن مقاصد الشريعة، مثل (الزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة... إلخ) فهذا النصُّ يُقرأ بوصفه تصوُّراً شمولياً لمجتمع عادل ومتوازن، يقوم على مبادئ التكافل، والتزكية، والحقوق المتبادلة، لا على التسلُّط والتمييز الطبقيّ أو القبليّ. وفي ضوء ما سبق، تتحوَّل الخطبة الفدكيّة من نصٍّ مرتبط بزمنه، إلى نصٍّ مفتوح على التأويل المتعدّد، يُعاد استحضاره في كلِّ سياق يُطرح فيه سؤال الحقِّ، والعدل، ودور المرأة في مقاومة الظلم والهيمنة، وهكذا تتجدّد الخطبة في الذاكرة الجمعيّة كخطاب احتجاجيٍّ يتجاوز التاريخ، ليُصبح وثيقة حيّة في معركة الإنسان مع الظلم عبر العصور.

#### الخاتمة:

يُعدُّ الخطاب الفاطميّ، كما تجلّى في خطبة السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، نصّاً فريداً في تاريخ الخطابات الإسلاميّة، إذ يتجاوز كونه خطاباً احتجاجياً عابراً إلى كونه بنية رمزيّة معقّدة، تُعيد إنتاج ذاتها عبر آليّات التلقّي والتأويل في سياقات زمنيّة وثقافيّة متعدّدة، ومن خلال المقاربة السيميائيّة-التأويليّة التي اعتمدها هذا البحث، تبين أنّ الخطبة ليست مجرد نصٍّ لغويّ جامد، وأنّها نسيج من العلامات والدوال والرموز التي تُحيل إلى معانٍ دينيّة واجتماعيّة وسياسيّة متشابكة، تتفاعل مع أفق التلقّي لدى المتلقّين في زمنها، وتستمرُّ في إنتاج دلالات جديدة في القراءات المعاصرة.

وقد كشف البحث أنّ البنية السيميائيّة للخطاب تتركز على استخدام مكثّف لأدوات البلاغيّة مثل التكرار، التوكيد، الاستفهام الاستنكاري، والاستشهاد

القرآنيّ، استخدام يعكس براعة الزهراء   في توظيف الوسائط اللُّغويّة لإيصال رسائل متعدّدة المستويات، مثل إثبات الحقّ، وفضح الظلم، وإدانة الانحراف عن المسار الشرعيّ.

كما تبين أنّ الخطبة تحتوي على شبكة رموز متداخلة، مثل الميراث، وفدك، والقيامة، التي تتجاوز مدلولاتها المباشرة إلى كونها علامات على قضايا أعمق، تتعلّق بالشرعيّة والسلطة والحقّ والعدالة، أمّا من حيث الآيات التلقّي، فقد بيّن البحث أنّ التفاعل المباشر مع الخطبة كان حاضراً من خلال ما أدلت له أم سلمة  ، وأنّ (فدك) اعتنى بها المؤرّخون وبيّنوا ملكيتها وأهمّيّتها، وقد تحوّلت الخطبة لاحقاً إلى نصّ احتجاجيّ حيّ في الوعي الشيعيّ، يوظّف في قضايا الدفاع عن حقوق أهل البيت  ، والمطالبة بالعدالة، ورفض الظلم.

وفي إطار التّأويلات المعاصرة، تبين أنّ الخطبة باتت تُقرأ اليوم في ضوء قضايا العدالة الاجتماعيّة وحقوق المرأة والمقاومة الرمزيّة، حيث يرى بعض النّقاد، مثل أدونيس، أنّ الخطبة تمثّل نموذجاً مبكّراً للخطاب النسويّ المقاوم في التراث الإسلاميّ، وإنّ الخطاب الفاطميّ، كما يظهر من هذه الدراسة، ليس مجرد حدث لغويّ ينتمي إلى زمن محدّد، بقدر ما هو نصّ مفتوح، يحتفظ بقدرته على إنتاج المعنى، واستدعاء الرموز الكبرى للصراع بين الحقّ والباطل، وهو ما يجعل من تحليل هذا الخطاب مفتاحاً لفهم أعمق للخطابات الاحتجاجيّة في التراث الإسلاميّ، وأداة لاستلهاهم قيم العدالة والمقاومة في الحاضر.

## المصادر

## القرآن الكريم

- زين الدين, عبد الرسول. خطبة الفدكية للزهراء (عليها السلام). ط ١. مؤسسة قصبة الياقوت للطباعة والنشر, ١٤٤١هـ.
- أدونيس. زمن الشعر. ط ١. بيروت: دار العودة, ١٩٧٢.
- سعيد, عبد الفتاح. بلاغة الخطاب الأحمر, فيصل. معجم السيميائيات. ط ١. القاهرة: دار الشروق, ٢٠٠٤.
١. الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون, ٢٠١٠.
- سمير, حميد. النصّ وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري. دمشق: اتحاد الكتاب العرب, ٢٠٠٥.
- شاكرا الجديع, حيدر محمود. مكوّنات الطبري, مُحَمَّد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم. ط ٢. القاهرة: دار المعارف, ١٩٦٧.
- بارت, رولان. لذة النص. ترجمة فواز طرابلسي. ط ٣. بيروت: دار الطليعة, ١٩٩٠.
- بنكراد, سعيد. السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها. ط ٣. اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع, ٢٠١٢.
- علوش, سعيد. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. ط ١. بيروت: دار الكتاب اللبناني, ١٩٨٥.
- فاخوري, عادل. تيارات في السيمياء. ط ١. بيروت-لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر, ١٩٩٠.
- ريكور, بول. نظرية التأويل. ترجمة سعيد الغانمي. ط ١. بيروت: المركز الثقافي العربي, ٢٠٠٥.

## References

### The Glorious Qur'an

- Adūnīs. (1972). Zaman al-Shi'r (1st ed.). Beirut: Dār al-'Awdah.
- Al-Aḥmar, F. (2010). Mu'jam al-Sīmiyā'iyāt (1st ed.). Algeria: al-Dār al-'Arabiyyah lil-'Ulūm Nāshirūn.
- Al-Ṭabarī, M. J. (1967). Tārīkh al-Rusul wa-al-Mulūk (M. A. al-Faḍl Ibrāhīm, Ed.; 2nd ed.). Cairo: Dār al-Ma'ārif.
- 'Allūsh, S. (1985). Mu'jam al-Muṣṭalaḥāt al-Adabiyyah al-Mu'āṣirah (1st ed.). Beirut: Dār al-Kitāb al-Lubnānī.
- Barthes, R. (1990). Ladhdhat al-Naṣṣ (F. Tarābulsī, Trans.; 3rd ed.). Beirut: Dār al-Ṭalī'ah.
- Binkrād, S. (2012). al-Sīmiyā'iyāt: Mafāhīmuhā wa-Taṭbīqātuhā (3rd ed.). Lattakia: Dār al-Ḥiwār lil-Nashr wa-al-Tawzī'.
- Fākhūrī, 'A. (1990). Tayyārāt fī al-Sīmiyā' (1st ed.). Beirut: Dār al-Ṭalī'ah.
- Ḥasan Muḥammad, 'A. N. (1999). Naḍariyyat al-Tawṣīl wa-Qirā'at al-Naṣṣ al-Adabī. Cairo: al-Maktab al-Maṣrī li-Tawzī' al-Maṭbū'āt.
- Ricœur, P. (2005). Naḍariyyat al-Ta'wīl (S. al-Ghānimī, Trans.; 1st ed.). Beirut: al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī.
- Sa'īd, 'A. F. (2004). Balāghat al-Khiṭāb al-Islāmī (1st ed.). Cairo: Dār al-Shurūq.
- Samīr, Ḥ. (2005). al-Naṣṣ wa-Tafā'ul al-Mutalaqqī fī al-Khiṭāb al-Adabī 'inda al-Ma'arrī. Damascus: Ittiḥād al-Kuttāb al-'Arab.

- Shākir al-Juday', Ḥ. M. (n.d.). Mukawwināt Khiṭāb al-Sayyidah al-Zahrā' (peace be upon her) fī Khuṭbat al-Fadak: Ru'yat Malāmiḥihā al-Ḥijājiyyah wa-'Alāqātihā al-Uslūbiyyah. Karbala: Kulliyat al-'Ulūm al-Islāmiyyah, Jāmi'at Karbalā'.
- Zayn al-Dīn, 'A. R. (1441 AH). Khuṭbat al-Fadākiyyah lil-Zahrā' (peace be upon her) (1st ed.). Mu'assasat Qaṣbat al-Yāqūt.